قراءة " أبو خليل "
٤/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٠ هـ
٢٨/ مايو/ ٢٠٠٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم
(قراءة في شخص الدكتور إحسان)

الحمد لله خلق الإنسان علمه البيان وأشهد أن لا إله إلا الله جعل كلمة " اقرأ " أول عنوانه والصلاة والسلام على رسولنا المعلم الأول بوحي رسالته حطم الوثنية وبنور بصيرته علّم البشرية بالقدوة المثلى التي ما زالت مطمح الآمال متجددة أجيالاً وراء أجيال.

أما بعد ::

فالذ رحل أستاذ الجيل فقيدنا "أبو خليل" فقيد الأمة والعلم والتربية - رحمه الله - وانتقاله من رحلة المرحلة إلى رحلة الخلود تؤكد لنا أنه ترك فراغاً تجاوز ألم الفراق، ذلك أن بصمته اخترقت حدود المكان، بينما تركت فعالياته المنهجية والتربوية بصمات راسخة في قلوب الدارسين وشامخة على جبين المحبين وداعمة لجهود الزملاء المتخصصين، إذ إنه تميّز في أدائه، تميّز في تطلعاته، تميّز في صمته وثقته بنفسه، بل إننا أمام سيرة رجل من رجالات الأمة، والمعلم على الأثر لأفذاذ. لقد فتح غيابه آفاقاً جديدة في القلوب لتتطلع نحو أروع آيات الاعتزاز بهذه الشخصية الفذة المثابرة نذر حياته الإنسانية والتربوية ساحة في التفاني تخطيطاً وإبداعاً دون نكوص أو تردد، دون تأفف أو تأسف منطلقاً بخلاصة فكره نحو تخطيط وطموحه والتزاماته، بل إنه أشرف على الأبحاث والرسائل في مجال التخصص كانت رشفة تجاربه وإنجازاته من قوله تعالى: " اقرأ " ومن قوله تعالى: " وقل رب زدني علماً ".

إنه مشوار طويل قطعه أبو خليل منطلقاً من منهل أفقي في رحلاته الدراسية المتلاحقة من الكويت إلى الباكستان الحائز على أوربا، ومن منهل راسخ في قيادة دور المعلم المربي، ثم المحاضر ثم العميد لكلية التربية ثم المدير النائب للتعليم فوكالة الغوث، ثم العميد للدراسات العليا، إضافة إلى حضور المؤتمرات العلمية العالمية تحت مظلة تأليف الكتب والأبحاث، ومن منهل ذاتي في المضي بالمشوار التربوي الرحب إلى المعاملات والعلاقات العامة مع أبناء العائلة والبلد على امتداد قطاع غزة فكان ماهراً في اجتنابه الخلاف بارعاً في ابتكار البدائل، رائعاً في اكتساب المواقف، ساحراً في اجتذاب المعارف.

أما اللقاءات والندوات فقد كان فارس المعلّى فهل تبقى للقاءات بدون عنوان والندوات بدون إحسان؟! وهل تتنازل القلم عن استثناء إحسان من ندوات الديوان وجوائز العلم ومسابقات رمضان؟ وهل تفحص الذهبية عن دلائل الامتياز، ومواثيق الإنجاز وشواهد الاعتزاز؟ وهل تصم الآذان عن صوت إحسان وهو تفريع البيان، ولغة الإعلان؟ بل لقد تبلور في الأخ منهج الإحساني الغزير في كمه وكيفه والذي نتمنى أن يكون مرجعاً للدارسين والمؤرخين.

ما أشد حاجة أمتنا إلى قادة تربويين أمثال أبي خليل ورفاق دربه يحيون لعلم التربية التي تنشئ الأجيال السوية المطالبة بتعديل المسلك فلا تلتوي طباعها مع سياسة المنفعة ولا تطوي السير مع المنافقين، نريد قادة لقوافلنا السائرة إلى الهدف المقدس دون أن تكترث بحماية أرواح من يقطعون عليها طريق تقدمها وهي تتطلع إلى رفع راياتها خفاقة مقدسة سارية وقدراً قادماً ... إن قائد التربية المناسب لهذه الأمة يجب أن يكون لديه سمة الاعتداد بالنفس واحتقار الخصوم، إذ إن رسالته تكليف لا تحمل معها أثقال الأمة على عاتقه، ويحس ضرورتها في دمه، يحترم المبدأ والوسيلة والهدف ليرفع أمته لا يرهقها وهي ترتفع أعلامها - هكذا كان أبو خليل وهذا ما كان يتطلع إليه في طموحاته.

أبا خليل: إن نضالك تتألق بالمداد وتخلد على جبين الأجيال المتلاحقة.. سوف نظل عطاؤك نبعاً نرتل من موارده المحبوبين والمريدين، وستبقى للعاملين، ولفخر المؤرخين.

أبا خليل:

بقدر ما توجعنا آلام وقع رحيلك؟ بقدر ما تؤنسنا أجواء صمودك ذاتك وبقدر ما تهزّنا مواجع فراقك بقدر ما تشدّنا مراجع عطائك من
مآثر فروسيتك من بابه المرئية لا تنضب عروبتك من قلب الأمة..

نودعك يا أبا خليل أنت ورفاقك العظام الأفذاذ بدمع سخين وقلب حزين وجوانحنا
نودعك مع رفاقك دربك الطهر، العاملين من رجالات فلسطين مستنيرين الى حلقة جهادية
تحمل في طيات الغيب بشائر أيام مجلوة عن أكناف طهارة الوحدة الوطنية معلنة السلام
الأكيد بين الصامدين المرابطين.. نودعكم يا علماء الأمة وكلمة الله غالية في قلوبنا
ومحبة الوطن غالية في ضمائرنا. نودعكم والأقصى ينادينا رمزاً للقرآن ودونها للأمة
والأوطان محطاً للأديان في أحضان الدولة القادمة بعزتها العاصمة.
إنه سميع قريب مجيب

(٢-٢)